

## لغة أدباء الشباب

كنت أعلم في بادئ الأمر ان ظاهرة المغالاة طابع وقتي، لشخصية الشباب، وأن اللفظة الشديدة على الشهرة تدفع بالنزق، الارعن إلى ركوب كل مركب فكنت أنتحل الاعذار المبررة. وكنت أعلم أيضاً أن حب ذبوع الصيت عند انسان عزيز النفس، لا بد أن يحفزه إلى الكد والاجتهاد في تحصيل العلم، لكي يقرن الشهرة الطيبة التي يشتهيها بالانتاج الفكري الناضج، وقد تم ذلك لأفراد قلائل من الشبان

و كنت أقدر لشباب المدرسة الحديثة خطوات واسعة في ميادين الادب والفن، تبرز جهود أدباء الشيوخ الحالية وتفوق كل ما أنتجه الشيوخ، في شبابهم في الكمية والكيفية، وسوف يتيسر ذلك للمثابرين المجتهدين

وقد تبينت ظاهرة جديدة عند أدباء الشباب لا تسمو إلى حدود الخطورة، ولا تنحط إلى فهاة المغالاة، ولكنها طابع وقتي ثان، لهم، زوالها مقرون بتعلمهم قواعد اللغة وأدب العرب والتاريخ القديم والحديث لأنها أسس لا محيص للاديب عنها مها ورد من مناهل الآداب الغربية وتثقف بثقافة الغربيين

أفت الدليل تلو الدليل على ظاهرة المغالاة، وها أنا أقرع  
بظاهرة الجديدة بحجة اقتبسها من مقدمة كتبها « شيخ يتصاني »  
داويوان « الألحان الضائعة » نحا بها نحواً جديداً في الاستهتار  
بقواعد العروض، والاستهانة بعلماء اللغة الاخصائيين، والدعوة  
الصريحة إلى عدم الأخذ بأقوال النقاد ونصائح الناصحين وإلى  
اتباع طوية النفس فيما اكتسبه المرء من اللغة بالسماع والمران !!  
لو كان صوت هذا المخلوق هو الداوي وحده في جماعة  
انثائين لأغفلنا شأنه ولم نلتفت إلى حميمته، ولكن أصواتا  
عدة تتعشج بها حلوق أدباء الشباب منادية بفساد اللغة العربية،  
وضلال قواعدها، وخالوها من المرونة لتساير بها المصطلحات  
العصرية، وعدم صلاحها للتعبير عن رغبات النفس !! وانه لولا  
القرآن لكانت الآن في عداد اللغات المندثرة، وأن من الخير  
تبسيطها وإصلاحها، وان لا وسيلة لهذا التبسيط الا باستبدال  
بحروفها المعقدة بحروف لاتينية ليتيسر للقارئ قراءة الكلمة  
صحيحة بدون لحن، او إهمال آخر الكلمة من حركات الضم  
والفتح والكسر، وجعل السكون لازماً لكل كلمة، أو إدخال  
بعض التحسين على اللهجة العامية تكون أسهل وألس من الفصحى!  
وأن، وأن إلى آخر هذه الأفت التي لا تدل إلا على شيء واحد  
هو جهل اللغة !!

ليس جهل أدباء الشباب بقواعد اللغة العربية وآدابها هو  
المحزن وحده ، إنما الذي يحزن ويؤلم حقاً ، مفاضلتهم بين أديب غربي ،  
حسن الديباجة ، قوي الجملة ، متين التركيب ، منسجم الوحدة ،  
ضليع في اللغة وغني في التعابير ، وأديب غربي آخر أقل مكانة  
منه ، أو ثالث نقيض الاثنين . وهل الفرق بين الأول والثالث  
سوى أن الواحد يملك أئنة اللغة فيطوعها وفق رغباته وبدواته  
وابتكاره واختراعه ، وأن الآخر يتسكع فيها تسكع الاعمى في  
الغابات ومتهرجات الطرق ؟ وهل يواتيك الظن فتوهم أن في  
استطاعة الجاهل لقواعد اللغة افراغ نظراته ، مهما كانت وضاعة  
لامعة ، في قوالب مقبولة وعبارات مستساغة يتلقفها الذهن  
فيدخرها مع ما يدخر من غوالي الفكر والكلم ؟

حقاً لا أدري معنى لمفاضلتهم وموازنتهم بين أديب غربي  
بليغ ، وأديب ثان فصيح وثالث غربي لا هو بليغ ولا فصيح  
فينبذون الأخيرين ويتعلقون بذيول الأول ، ولا يوازنون  
ويفاضلون ويميزون بين أدبهم هم المضعف المهلهل المحطم ، وأدب  
أكثر الشيوخ الذي لا يقل في صياغته ومثاقته وسلاسته عن  
كتابة فحول الأدب أمثال الجاحظ وابن المقفع وسواهما ؟ لم  
يكبرون أدب الأديب الغربي الناضج ولا يحتقرون آدابهم المبتسرة  
الفجة ؟ وعندني أن الفكرة العبقريّة تفقد أكثر جواهرها إذا صيغت

بصارات مهلابة ، وجمال مقمرة ، ولغة سقيمة وكيكة كما يفعل جلي  
أدباء الشباب

ولعلي بالغ من اقناع الشباب اذا أنهضت لهم حججاً مستمدة  
من أدباء غربيين تدل على أن استقامة اللغة هي الأصل في خصائص  
الأديب فأنا تول فرانس يقول « لا يقول الكاتب قولاً سديداً  
إلا بنحو متين ولغة صحيحة » ويقول « بوالو » « أعلى الكتاب  
كعباً اذا حرم الرسوخ في اللغة فليس بكاتب » فهل من حرج  
علينا بعد ذلك اذا أسقطنا تجني الشبان على لغة العرب وقواعدها  
من قائمة ادعاءاتهم الهزيلة ؟

\*\*\*

أعود الآن الى صاحب ديوان « الالخان الضائعة » والى  
صاحب الظاهرتين ، ظاهرة الاسراف في المغالاة وظاهرة الدعوة  
الى الاستهانة بالعروض - أعود الى كاتب مقدمة الديوان  
لاقتبس نتفة من مقدمته « الشائكة » ولاوضح لك البواعث  
التي حفزته الى كتابتها نكايه باللغة قال « فلان ، شاعر مبتدع بعيد  
الخيال ، رومانطقي النزعة غالباً ، رمزي احياناً ، بعيد في طوره  
الحاضر عن المثل القديمة ، لغته لغة الشعر الجريء ( كذا ) فكل  
الفاظه أشعة وظلال وأنغام وأصداء ، وعطر وشذى وأشباح  
وأطياف ونحوها » هذا نمط جديد في التطريب والتصبي والتشويق

وقال « ليست لغة التنسيق الصناعي الذي لا يخرج عن حدود الموسيقى اللفظية التي لا تمت بصلة الى المعاني ، وشتان بين المعاني التي تتأثر بالالفاظ وبين الموسيقى اللفظية التي تكاد تعرفها المعاني » (كذا) ثم قال « فليذهب شعراء الرنين وليتناظروا معهم في استبدال لفظة بأخرى ، وفي أصوب المذاهب النحوية أما هذا الشعر الوجداني الرائع فليعتبروا أن وراء الفاظه دوافع نفسية في الاختيار والتنسيق والموسيقى لا دوافع صناعية تدعو الى تبديل بعد تبديل وتحوير وتقديم وتأخير »

أعرفت معنى هذا الكلام الغامض والابهام البسيط المدغم بابهام مركب ؟ معناه : انه شجر خلاف عروضي في محور الشعر بين الدكتور بشر فارس والشاعر الأديب حسن كامل الصيرفي ناظم « ديوان الالحان الضائعة »

أفضى الأول برأيه وأقام البينة على خصمه . وتعنت الثاني ونفى الوصمة العروضية عن شعره .

طالت المناظرة بين المتناظرين فاحتكما الى مجلة المقتطف فأفتت عقب عرض الخلاف على أساتذة اخصائيين « بان الايات التي أوردتها بشر فارس من شعر مناظره ، الثلاثة الأولى صدورها من المديد وأعجازها من الخفيف والبيت الرابع مستقيم والخامس والسادس لا يسقيان والسابع مستقيم على ضعف أما باقي منها الى

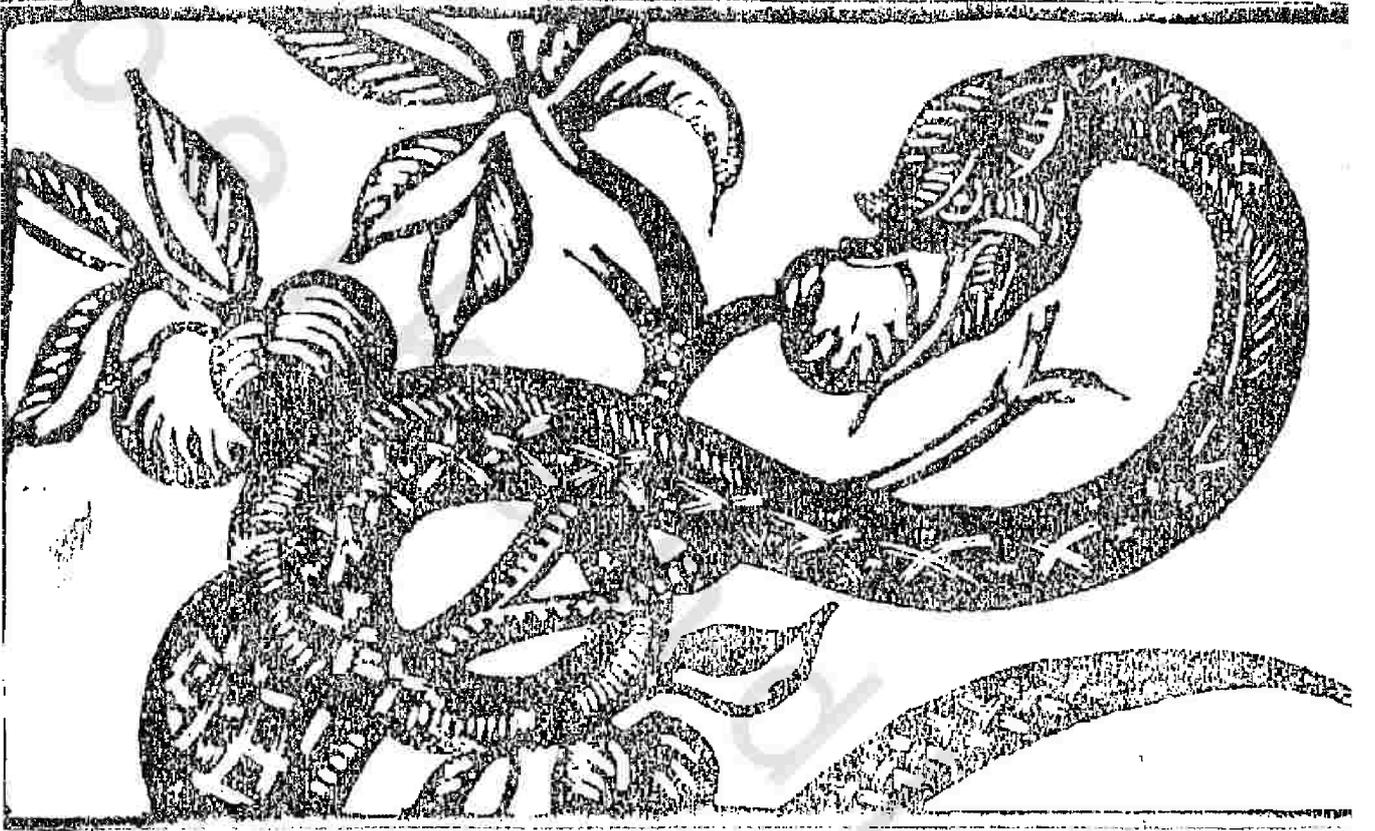
السادس عشر خطأ أما البيتان الثاني عشر والرابع عشر فهما مستقيمان «  
أوقفت الآن على حاول الاغاز؟ أعرفت لماذا غضب كاتب  
مقدمة ديوان «الاحان الضائعة» غضبة «أمامية» (١)  
لامضرية فراح يهيب بشاعره ان أمض أيها الناظم وفق سجية  
نفسك وطوية الهامك غير حافل بالاوزان والعروض والقواعد  
والانماظ ولا آبه باحكام مجلة المقتطف وقضاتها الزهاء !!؟  
الجواب لانه كتب مقدمة لديوان الصيرفي ولا يجوز أن يكون  
لشعر الصيرفي سابقة حكم من مجلة رصينة محترمة كالمقتطف  
فقال هذا اللغو من الكلام النصل الباهت نكاية بالمقتطف ونكاية  
بالدكتور بشرفارس ونكاية بقواعد اللغة أيضا .

لا تنس أن كاتب مقدمة ديوان «الاحان الضائعة» هو  
من الزمرة المتمردة على قواعد اللغة العربية وآدابها وتاريخها لانها  
اللغة العربية ، ولأن أدباء الشباب يقولون باصلاحها وتبسيطها  
وإلغاء قواعدها واستبدال حروفها ، ولان المدرسة الحديثة تعتبر  
المعاني ولا تعتبر إلا المعاني ، وأخيرا لان كاتب المقدمة من زمرة  
جهلاء اللغة العربية التي بها يتحدثون ويكتبون والتي بها يذيعون  
رسالتهم في الناس .

---

(١) نسبة إلى جريدة الامام التي يصدرها الدكتور أحمد زكي  
أبو شادي صاحب مجلة أبولو وكاتب مقدمة ديوان الاحان الضائعة

ألا ترى أيها القاريء في ظاهرة جهل اللغة ما هو أذكى  
وأدهى من ظاهرة الاسراف والمغالة؟



( تعبان الادباء ونافت رسوم الشرف فيهم )

أكتفي الآن بيسير ما كتبت في هذا الموضوع رغم ما  
عندي من كثير يدعوني الى إطالة الكلام في أدباء الشباب المغلاة  
ورغبة في الانتقال الى دراسة أدباء الشيوخ  
وحرري بي قبل ذلك أن أتوه أولاً بسعة الذهن والصدر عند  
طائفة من هؤلاء الشبان المهذيين ، واعترفهم بما آخذتهم به ولتتهم  
عليه ، وان أذكر تضجر البعض وتبرههم بصراحتي وعتبهم عليّ  
لأنني وأنا واحد منهم ، لم أرع صلة الشباب وواجبات الصداقة

لا يخامرني شك في أن موقف الشبان هذا (سواء من ظهر منهم  
بسمة الدهن والصدر ، والتمللمل والتبرم) يدل دلالة واضحة على  
مزاياهم الحميدة ، والسجايا العالية ، والتحرير الفكري ، وغير ذلك  
من الصفات التي اكتسبوها من روح الأدب الصحيح ومن  
الثقافة الناضجة

وخليق بي أيضا ان أذكر بالاسف الشديد فئة ضئيلة من  
هؤلاء الشبان ، أرهفت ألسنة السباب والشتم علي حاسبة انها  
السلاح الماضي للظفر والحجة الدامغة للفوز ، فما أحرى هذه  
الشرذمة بأن تعرف انها ما انفكت بحاجة قصوى ، وعود ضروري  
الى أوليات الأدب ومبادئه لأنها لم تتطهر بعد ولم تنق نفوسها من  
أدران ورثتها عن سبقها من ضيقي الفكر أو تلقحت بها من  
دعاة العرور

\*\*\*

يحلو لي أن اعرض لمسألة طالما لا كتبها الألسنة وهي مسألة  
« التطفل على الادب » فما هو التطفل ياترى ، ومن هو الطفيلي ؟  
بل من هو الاديب الذي لا يحق لسواه الجلوس على أريكة  
الادب ؟ وهل الادب حرفة موقوفة على طائفة محدودة من الناس ،  
أو مرتبة خاصة من الشعب ، أو هو كالحياة مشاع بين الخلائق كلها ؟  
أعرف ان الادب صورة صادقة للحياة ، وانه كما يكون  
الادب تكون الحياة ، فهل الادب والحياة موقوفان على محترفي

صناعة الكتابة فقط ومحرمات على من لا يحترف صناعة الكتابة  
بمعناها؟ هل تذوق الحياة وتعشق جمالها، ومحاولة استشفاف الغاية  
من وجودها، والافتعال من صورها المتعددة وبسائطها المتلونة  
رموزاً للاندماج الروحي بها، خاصة من خصائص الكتاب  
المحترفين. ضنت الطبيعة بها وحرمت هبتها على الكتاب غير  
المحترفين؟ هل حرفة الانسان أو فنه أو صناعته التي يتوسل بها الى  
كسب رزقه، يجب ان تحول بينه وبين الادب وتباعد به عن  
الحياة أو تدنيه منها؟ وهل مفروض في الانسان ان يضيق  
للدائرة على نفسه حتى لا يطل على الحياة الا من ثقب الكوة التي  
يتسرب رزقه من ناحيتها؟

إذا أخذنا بنظرية «الصاوي وابي شادي وجودت» وهم الذين  
أنكروا علي تصديّ المبحوث الادبية والنقد الادبي، بحجة اني  
موظف تجاري، وقلنا للطبيب ان التزم ايها الطبيب مرضاك،  
وللمهندس ان يازم بركاره وأمتاره، وللقاضي قوائنه وتطبيقات  
موادها، وحظرنا عليهم مزاولة الادب ومعالجة فنونه، ألا نكون  
قد طمسنا بايدينا صوراً للحياة كان في استطاعة الطبيب والمهندس  
والقاضي اظهارها واضحة جلية لغير الذين لم تمنحهم الطبيعة قدرة  
استجلاء بدائع الحياة عن طريق الادب؟

هب قال قائل سخيف للقاضي قاسم أمين، والموظفين السحيل

صبري وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، ألزموا أيها الرجال حدود وظائفكم الحكومية ولا تتخطوها الى الحياة عن طريق الادب ، لأن الادب غير وارد في برنامج أعمال الوظيفة والموظفين ، فكيف كانت خسارة الادب العربي فادحة هائلة بتسحية هؤلاء الموظفين عن الادب ؟

ثم أعرف الدكتور أبا شادي موظفا حكومياً الى اليوم وصالح جودت طالباً يدرس التجارة ليكون موظفاً تجارياً مثلي ، الا يجدر بنا أن نرد اليهما ماقلاه عن تطفل الموظف على موثد الادب ؟

معاذ الله أن نركب هذا الشطط

كان الشاعر السوري الذائع الصيت إيليا أبو ماضي يبيع السجائر في الاسكندرية ، وكان الاديب البلغاري بنايت استراتي يبيع الليمونادة في شوارع القاهرة ونعرف أدباء كباراً في مصر يعيشون عيشة بوهيمية أو يعيشون كما يقول العرب « كالرماح مرفوعين على أكتاف الاجاويد » فهل نقصت قيمة أبي ماضي الشعرية لانه باع السجائر وهو يحترف البقالة اليوم ؟ وهل انحط قدر بنايت استراتي الذي يعرفه الادب الفرنسي كما يعرف الاعلام البارزين من اقحاح الفرنسيين لانه باع الليمونادة في شوارع القاهرة ؟ وهل وضعت مراتب البوهيميين الادباء في

مصر لأنهم يعيشون من جيوب الخيبرين ؟ اللهم كلا وألف كلا  
هب جدلا ان صالح جودت واحمد الصاوي محمد ، وأحمد  
زكي أباشادي في طليعة المؤلفين ومقدمة الناشرين ، وان عدد  
مؤلفاتهم بين شعر ونثر فاق عدد الميكروبات في جوف المحموم ،  
وان مواد كتبهم ما برحت هي هي في الانحطاط والجمود والجمود  
فهل تبلغهم مؤلفاتهم المرتبة السامية والمكانة المبجلة والاحترام  
والاعتبار التي بلغها بائع السجائر البقال وبائع الليمونادة والمتشرد  
البوهيمي ؟

اللهم كلا ولف ألف كلا  
يمكنني أن أحصي عشرات من ادبائنا البارزين والمغمورين ،  
كلهم موظف مثلي يكسب رزقه عن طريق الوظيفة ، فاذا أخرجنا  
هذه الخناجر المفردة للحياة أناشيد الادب فمن الذي يغنيها  
الاغاني الحارة الصادقة ؟ الكاتب المحترف وقد تمجرت أحاسيسه ،  
وضاع شعوره ، وتبخر ذوقه وارتمى كالجثة الهامدة تحت أعباء  
السرعة ، وطلب الآلة ، وعمل الساعة ، أم الموظف المرفه وقد لبي  
نداء وجدانه ، وهاتف انسانيته ، فغني للحياة أنشودة الادب  
هادئة كالليل ، صادقة كالوجود ، جميلة كالمرأة ، حلوة كالدموع ،  
عذبة كالشفاه ؟ ! !

أنا يا صديقي القاريء موظف بسيط في أكبر متجر في

القاهرة ، رأس مالي عند رب عملي اجتهادي وأماتي ، وصلتني  
بزبائني قائمة على الثقة ، بهاتين الصفتين ارتبط وبهما أحياناً عند  
صاحب العمل وعند الزباين

لقد اكتسبني وظيفتي الصلة بجميع طبقات الناس ، وتغذت  
سجية الصدق عندي بفناء الثقة التي أتبادلها والناس ، فصارت  
الحياة تتعذر علي بدون الصدق وها أنا أتخطى وظيفتي وأجاوز  
حدودها الى الحياة الكبرى سالكا سبل الادب ، متوكئاً على  
الصدق ، فهل تنحط قيمتي كأنسان يكتب في الادب اذا قال  
الصاوي عني اني ناقد أدبي وبائع خردوات ؟ أو قال أبوشادي  
وجودت ان أدبي أدب منغاثورة ؟

لا يكفيني أن أقول للصاوي واخويه « انظروا الى ما قيل  
وليس الى من قال » لان العبرة في القول نفسه ، بالشرارات التي  
تتطاير من النفس ، بالاشعة التي تنبعث من نفحة الروح الالهي  
فتستقر في الانسان الموهوب ، بالصدق الذي يجري على سن القلم  
ليصور للقاريء رسالة الانسان لآخيه الانسان باخلاص وأمانة ،  
بالبراعة في رسم بدائع الحياة وبالاناشيد الالهية موقعة على قيثارة  
الاديب المفطور على الادب

سيان عندي ان كان هوميروس جواله ينشد قصائده  
الخالدات في الشوارع على مسمع الدهماء والخاصة من اهالي

« كومة » او كان سر يا من سرارة القوم كفاه الغنى ذل الفقر والاستجداء ، او كان يكسب رزقه عن طريق التوظيف والاستخدام ، ان ذلك لا يعنيني البتة بقدر ما يعنيني روحه الوضاء وعبقريته اللامعة ، ونفسه التي ما برحت تنير العالم بأسره بأنوار بهجة من شعره الخالد ، اما كيف كان يعيش هو ميروس أي كفاف او نعمة وكيف كان يرتزق أعن طريق الاستخدام أو عن طريق استجداء فهذا آخر ما يفكر فيه الاديب الاصيل . بل هو آخر ما يخطر لمن يقرأ الا لياذة الخالدة على الدهور ، وقد لا يفكر في ذلك ولا يخطر نوع وكيفية كسب رزقه الا للسخفاء الذين ينظرون إلى الظواهر التافهة لانه لا إدراك لهم ولا وعي يستعينان بهما على الغوص إلى الاعماق ، فالعبرة اذن بالحقيقة الصادقة التي يملها روح الانسان العلي في رسمها القلم ولا فارق عندها فيما إذا كان ذلك القلم في يد صعلوك او امير او موظف أو تاجر

لا يسعني وأنا اختتم هذا الفصل الا ابداء الأعجاب والتقدير والتوجع والتألم . اعجابا وتقديراً لطائفة متوافرة من ادباء الشباب دلت على أنها تقدر النقد الادبي الصادق وتباعد التحزب والتشيع والاعتبارات الشخصية ، وتوجعاً وتألماً لطائفة ضئيلة من هؤلاء الشباب مازالت مريضة سقيمة ليس في وسعي إلا أن أتمنى لها البرء والعافية . راجياً أن ألقى من أدباء الشيوخ ما لقيت من نبالة الكثيرين من ادباء الشباب .